«مسرح المواجهة» يجسد خطط التنوير بمصر

تجارب الشباب وعروض مسرح الدولة تستفيد من هامش الحرية لتفجير القضايا الشائكة

انطلق في مصر منذ أيام قليلة قطار "مسرح المواجهة" في موسمه الثاني، في إطار منظومة تنويرية للتصدي للعنف والتطرف وتحقيق العدالة الثقافية وبناء الإنسان وتطوير المجتمع. ويعزى الفضل للجهود الأهلية والمستقلة في تعزيز دور المسرح واستعادة مكانته كفن فاعل مؤثر له حضور جماهيري، الأمر الذي أغرى المؤسسة الرسمية لاستثماره في استراتيجياتها وخططها.

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – تبقى "المواجهة" هي السمة الأبرز في عروض المسرح المصري الجريئة والمتمردة في الآونة الأخيرة، إذ يعي المسرحيون الجدد أدوارهم الفنية والاجتماعية والإشعاعية، ومن ثم فإن الفعاليات التي تتبناها وزارة الثقافة المصرية تكاد تبدو إعلانا لما هو قائم بالفعل في المشهد المسرحي المعاصر.

وتتعلق الآمال بفن المسرح لفتح آفاق فكرية وثقافية وفنية مبتكرة، وتعزيز منظومة القيم والأخلاق، ومجابهة طيور الظلام وجماعات العنف والإرهاب بمصابيح التنوير.

المجد للمغامرين

يحمل الموسم الثاني لمسرح المواجهة شعار الوصول إلى المتلقّي أينما كان، والذهاب بالمبادرة إلى جميع المحافظات المصرية لتغذية الوعي وتشكيل الوجدان من خلال الإبداع، حيث تضافرت الجهود الرسمية مع الجهود الأهلية ومؤسسات المجتمع المدني من أجل دعم المشروع، الذي ينهض في الأساس على ما أحدثه المسرح الحر والمستقل والجامعي من إنعاش للفن الرابع.

ويتصدر فن المسرح بشكل فعلي في الوقت الحالي قائمة الألوان الإبداعية الحديثة والتقليدية في مصر، فهو الأكثر عراقة من جهة، والعلبة الجامعة للفنون البصرية والصوتية من حركة ودراما واستعراض ورقص وتشكيل وموسيقى وشعر وغناء وغيرها من جهة أخرى، بالإضافة إلى قدرته على التأثير في الجمهور، واستغلاله الواعي هامش الحرية المتاح، لتفجير قضايا ساخنة، بهدف الإسهام في حل الأزمات والمشكلات والتصدي للمخاطر المحدقة.

> **المسرحيات المقدمة نجت من حقول الألغام بلجوئها إلى الأقنعة والتاريخ والإسقاط الرمزي وامتطاء عجلة الزمان والمكان**

وتطمح الحكومة المصرية إلى استثمار هذه الخصائص الفريدة لفن المسرح بصفة عامة، والإنجازات التي حققتها عروض الفرق الأهلية والمستقلة بشكل خاص، لبلوغ التغيير الإيجابي في الفكر والسلوك، ومثل هذه الأهداف والطموحات تبدو متحقّقة بوضوح في الكثير من العروض المسرحية التي شهدتها مصر مؤخرا، وأثبتت أن سلاح المسرح الأمضى في ترسانة القوة الناعمة الفاعلة، سواء انطلقت فعاليات رسمية بشأن المسرح، أو لم تنطلق.

وتعد "المواجهة" كلمة السر في عروض المسرح اللافتة، التي قدّمتها مسرحيات الشباب والفرق الحرة والمستقلة والجامعية، فمن خلالها طرق المسرح قضايا الفساد والقهر والفقر والعنف والإرهاب والتفكك الاجتماعي واغتراب الشباب وسطوة العالم الافتراضي وغيرها، كما أوصلته الجرأة إلى ميدان السياسة المحظور، دون أن يتخلى عن شجاعته وإقدامه واقتحامه خطوطا حمراء، لا يبلغها فن آخر على هذا النحو الجسور.

وتمكن المسرح الحر، دون غيره، من تخطي أسوار المنع والرقابة، وتمردت عروضه على السائد المجتمعي الراكد أملا في تغييره وتجاوزه إلى الأفضل، بالقدر ذاته الذي ثارت فيه هذه العروض على المفاهيم والآليات النمطية للثيمات المسرحية الموروثة، مقدّمة رؤى طليعية وابتكارات تقنية مبهرة، خصوصا في عروض الشباب والأجيال الجديدة.

وفي خوضه معاركه المتعددة المشتعلة، ضد الجمود والرجعية والعنف والإرهاب والقمع والقهر والتسلط والفساد والخلل الاجتماعي وغيرها من القوى المدمّرة، لجأ المسرح إلى كل الأدوات والآليات المتاحة ليتفادى التضييق والكبت والمنع والممارسات القمعية المشهرة في وجه المعارضة وأقلام النقد الجاد في الفنون والآداب ووسائل الإعلام، سواء بقصفها وتحطيمها أو بتقييدها أو بتشويهها وتخوينها، وفي هذا المسلك على وجه التحديد برزت فرادة المسرح واستثنائيته.

نجا المسرح من حقول الألغام بلجوئه إلى الأقنعة والتاريخ والإسقاط الرمزي غير المباشر وامتطاء عجلة الزمان والمكان، معتمدا على الإيحاء والإشارة والأساطير لتمرير الرسائل الذكية إلى جمهور واع جرى تدريبه بفعل العروض المتكرّرة، والمهرجانات والمؤتمرات المنعقدة على مدار العام، التي تثري ذائقته وتشحذ خياله بأفكار وامضة والتماعات فنية من كل حدب وصوب، وهي فعاليات مستقلة عادة، تنظمها مؤسسات المجتمع المدني، والمنظمات الأهلية، والجماعات الأدبية، إلى جانب المراكز الثقافية التابعة للدول الأجنبية، مثل فرنسا، ألمانيا، روسيا، إسبانيا، اليونان، الولايات المتحدة وغيرها.

وأبلى المسرح الحر المستقل بلاء حسنا في مضمار المواجهة والتنوير، وصار له رصيد معتمد من الثقة والطاقة الإيجابية الخلاّقة لدى الجمهور، الأمر الذي لفت انتباه المؤسسة الرسمية إلى هذا المارد، ذي العصا السحرية، فكانت فكرة "مسرح المواجهة" لمختلف الشرائح العمرية والاجتماعية، بخاصة الشباب، اتكاء على ما أنجزته عروض الشباب والفرق الخاصة من نجاحات.

إلقاء أحجار مثيرة في الماء الراكد

اللعب بالنار

تتعدد نماذج العروض الحرة الجريئة التي لعبت بالنار بخوضها في مناطق شائكة، خلال الفترة الماضية، فمنها على سبيل المثال لا الحصر، مسرحية "اسكوريال" في فبراير الماضي لفرقة تجارة جامعة عين شمس، التي تلمّست عبر الإسقاطات والأقنعة قضايا الواقع الراهن، راصدة توغّل السلطة وتوحّشها، وزيفها وخواءها في الوقت ذاته، وانسحاقها أمام الغوغاء والحرافيش.

كما شكّلت مسرحية "أوبرا بنت عربي" لفرقة مسرح الشمس التي عرضت في الصيف تهديدا لعروش السلاطين الجائرين ونافذة للإطلال على انتفاضات الشعوب وإبراز صراعات الحكم من خلال دراما ملحمية أوبرالية في إطار فانتازي، يستلهم التاريخ والأسطورة.

وطرحت مسرحية "ماما" للمؤلف والمخرج أحمد العطار قضايا مثيرة، منطلقة من الممارسات الأسرية والعائلية لمناقشة وضعيات النساء، وصولا إلى خلخلة مفاهيم الأبوية والذكورية، والسلطوية على وجه العموم.

وأثارت مسرحية "الأدهم" إمكانية أن تطرح الأرض ثورة ومقاومة، بمعالجة جديدة لأسطورة أدهم الشرقاوي، وعُرضت في مارس الماضي بأكاديمية الفنون. كما جاءت مسرحية "الرجال لهم رؤوس" التي عُرضت مؤخرا في هيئة "ديودراما" تسعى إلى تحرير الوعي والانتصار لإرادة الإنسان، وذلك عبر تفجير الهزل من قلب المأساة. وانحازت مسرحية "سينما 30" للشعب البسيط، ضد القوى السياسية والدينية، في تجربة مثيرة بالأبيض والأسود لفريق تجارة عين شمس.

وشنّت مسرحية "علي الزيبق" غارة على الفساد والعنف في مصر ومناوشة السلطة بمؤازرة الشباب وبالاستعانة بالمكر الفني وانتقاد الأوضاع الاجتماعية والسياسية من خلال الإسقاط والترميز والأقنعة، وإحلال الأساطير والعوالم الخيالية والأزمنة الماضية والافتراضية محل الواقع.

ومن الأمثلة على عروض المعارك والمواجهات كذلك مسرحيات "سيمفونية القطة العمياء"، "أبوكبسولة"، "تسجيل دخول"، "تصبح على خير"، "جاري التحميل"، "خلل"، "شباك مكسور"، "طريق طروادة"، "مدينة الثلج"، "مفاوضات الاختلاف"، "نوح الحمام"، "رايات الأندلس"، "بهية"، "رادوبي الجميلة" وغيرها.

وتطرقت هذه المسرحيات، الشبابية في أغلب الأحوال، إلى نفض الغبار عن التاريخ بحكاياته وملاحمه وأساطيره، وتعزيز ثورات الشعوب ضد الحكّام المتسلّطين، ووضع حد لصمت المقهورين المطحونين، وحل مشكلات الفقر والجوع والظلم الاجتماعي وفوضى العلاقات الأسرية والتربية الخاطئة للأبناء كبذور للإرهاب، وأزمات الشباب المستلبين المعزولين عن الواقع، بالإضافة إلى تقييم حصاد الثورات المصرية والعربية وتعزيز إرادة البشر والرغبة في التغيير والتطوّر.

ومن هناك خاض المسرح المصري المعاصر ولا يزال يخوض غمار المواجهات والتحديات بقوة واقتدار، وفرض نفسه كفن فاعل قادر على التأثير في الجمهور وإلقاء أحجار مثيرة في الماء الراكد.

يوسف السيفاو: التشكيل الليبي بحاجة إلى مدونة توثقه

"اللوحات التجريدية أعمال حمّالة للعديد من المفاهيم وللمتلقي حرية العنونة والتأويل، والعنوان هو أداة طريق وهوية للعمل"، هكذا يقدّم التشكيلي الليبي يوسف السيفاو منجزه التجريدي الذي راكم فيه تجربة فنية جاوزت العقدين من الزمن، محدثا بألوانه الحارة تارة والشاحبة في أحيان أخرى علاقة تفاعلية تظل مستمرة إلى حين انتهاء العمل.

خلود الفلاح
كاتبة ليبية

ثمة صراع بين الألوان في اللوحات التجريدية التي يرسمها التشكيلي الليبي يوسف السيفاو كالأزرق والأحمر والأصفر، وهو يرى أن هذا الصراع ينتج أعمالا مبهجة بعيدة عن الألوان الشاحبة أو الأخرى السوداوية، وكأنه يسعى من خلال هذه الألوان الحارقة والحادة إلى تشكيل جديد لوطنه المشتهى.

"العرب" التقت يوسف السيفاو الذي قال عن علاقة ما يرسمه بالآخر/المتلقي "يشغلني المتلقي كحالة إنسانية لها تفاعل مباشر مع الحياة، المتلقي هو 'أنا' بعدّة أشخاص وفي عدة ظروف، فلا فنان بغير متلق، الآخر هو الفنان، وكلاهما نسيج واحد مكمل لبعضه البعض".

ويلفت السيفاو إلى أن للفنان منابع ومصادر يستلهم منها أعماله قد تختلف اختلافا كبيرا بينه وبين باقي أفراد المجتمع الذين تُشكّل حياتهم وهمومها ومجرياتها مصدره الأول للإلهام، فالفن عنده هو واجهة المجتمع ومرآته. ويضيف "الفنان هو أول انعكاس للحالة الصحية لمجتمعه، والمجتمع بدوره انعكاس لتلك الحالة النفسية والمزاجية التي يمر بها الفنان، وقد تكون هذه الحالة نتاج لحظة أو موقف أو تجمّع لمجموعة من الرؤى التي تتخذ لنفسها شكلا محددا وملحّا، يظل يصرّ على الخروج للعلن في عمل تشكيلي ينفذه عادة على سجيته".

ولا يحبّذ الفنان الليبي وصف التفاعل بين المتلقي واللوحة بالمعقّد، قائلا "الجمهور الليبي يملك ملكة فطرية في النقد، فهو سريع التأثر بما يشاهده من أعمال. ناقد رفيع المستوى وباحث ممتاز عن نواحي القصور في اللوحة".

عن انتصاره للمرأة في لوحاته، يقول يوسف السيفاو "المرأة ليست سجينة في أعمالي، إنما هي حرة بشكل يفتقده الرجل ذاته. هي سيرة حياة وقصة كفاح، ولم أجرؤ يوما على رسمها في صورة المُكبّلة، المرأة تتميز عن الرجل بحيّز تعبيري واسع في الأعمال الفنية سواء في أعمالي أو في أعمال غيري من الفنانين، ويمكن وصفها بأنها العنصر الإنساني ذو أبعاد متعدّدة المفاهيم، فإن رسمت الطبيعة، فالشجرة أنثى والوردة أنثى والطبيعة في حد ذاتها أنثى".

ويسترسل "الجمال أصله المرأة والعطاء أصله الأم وكل مفاهيم البذل والصبر هي من قلب المرأة، المرأة هي الوجود وميزان ثقافة المجتمع ومنبع أصالته، بحيث يمكنني أن أحكم على ماهية مجتمع معيّن من الوهلة الأولى بالنظر إلى وضع المرأة فيه".

وتُظهر لوحة "منعطف" إنسانا مكبّلا بالقيد، وعنها تسأله "العرب" إلى أيّ مدى استطاع هذا العمل أن يجيب عن أسئلته حول الفن والحياة؟ فيقول "هذه اللوحة في طور الإنشاء وتتطلب بحثا تاريخيا أوسع عن المجتمع الليبي ومراحله، والشخص المكبّل هو انعكاس لمشكلات البشر وصراعهم مع ظروف حياتهم ومصائرهم".

وهو يرى أن الفن والحياة وجهان لعملة واحدة، موضحا "الحياة آلة جبّارة ترهق الناس وفيها ما يكفي من هموم، يحتك بها الإنسان وينتج عن ذلك الاحتكاك تفاعل اجتماعي وإنساني يجر بدوره هموما أكبر، ما يحيل الإنسان إلى كومة من المشاعر الملتهبة التي تختلف حدّتها من شخص إلى آخر، وبالتالي تختلف القيود تبعا لطريقة استقبال كل فرد لها".

ويعتبر الفيساو أن موضوع الفن وعلاقته بالحياة، يظلّ موضوعا معقّدا، وقد حاول البشر تجسيد تلك العلاقة بمدارس فنية متعددة، كانت للإنسان ذاته الحصة الأبرز، وسيظلّ صراعه معها موضوعا مستمرّا ما دامت هناك حياة تستمر وفنان يعبّر.

يوسف السيفاو

> **المرأة تحضر في أعمالي حرة بشكل يفتقده الرجل ذاته**

وحول السبب في عدم احتواء المكتبة الليبية على مراجع وبحوث تخصّ الحركة التشكيلية، يقول يوسف السيفاو "بالفعل لا تتوفر مادة علمية كمراجع عن الحركة التشكيلية الليبية، والمكتبة تقريبا خالية إلّا من عناصر اللوحات التي نفّذها فنانون ليبيون مُنذ سنوات ماضية".

ووجّه التشكيلي الليبي اللوم والعتاب إلى الأجيال السابقة، معلّلا بقوله "توفرت لها إمكانيات أفضل وظروف أحسن، ولم يفكر أحد منها في كتابة سيرة الحركة التشكيلية الليبية، ونحن الآن بصدد إعداد مشروع بحاجة إلى وقت وتنظيم وحيادية كبيرة ليكون مرجعا واقعيا للحركة التشكيلية".

ويرفض يوسف السيفاو الفكرة التي تقول لا يجب على الفنان تسمية لوحاته، لأنه بذلك يحصر المتلقي داخل تفسير محدد، ويوضح "اسم العمل يولد به، وهو يبدأ من لحظة انبثاقه كفكرة ولا يحصر المتلقي في دائرته، خصوصا وأن الأعمال التجريدية أعمال حمّالة لمفاهيم عدّة وللمتلقّي حرية العنونة والتأويل. الاسم هو أداة طريق وعمل وهوية للعمل".

وطن مبهج بألوان حارة

لبنان يطلق مهرجانا دوليا لفن الحكواتي

صور (لبنان) – أعلنت جمعية تيرو للفنون وإدارة مسرح إسطنبولي عن برنامج الدورة الأولى من "مهرجان لبنان المسرحي الدولي للحكواتي" والتي ستقام في الفترة الممتدة من 26 وإلى غاية 29 أكتوبر الجاري في "المسرح الوطني اللبناني" بمدينة صور اللبنانية، وذلك بمشاركة الحكواتي الجزائري ماحي صديق والتونسي صالح المرزوقي والفلسطيني خالد نعنع والفلسطينية وفيقة لوباني، والحكواتيين اللبنانيين سارة قصير ونسيم علوان ورجاء بشارة وفراس حمية وغوى علام وسحر شحادي ورنا غدار، بالإضافة إلى إقامة معرض للحرف اليدوية اللبنانية وكرنفال شارع وأمسية موسيقية لفرقة اليسار الشبابية.

كما ينظم المهرجان في دورته التأسيسية ندوات حول دور الحكواتي في المحافظة على التراث والذاكرة، وأهمية فن الحكواتي في التعليم، واستخدام الحكاية في العلاج النفسي وكيفية كتابة الحكاية، علاوة على إقامة عرض حكواتي ارتجالي تفاعلي مع الجمهور بمشاركة جميع الحكواتيين المشاركين في ختام المهرجان.

وقال مؤسّس المسرح الوطني اللبناني الممثل والمخرج قاسم إسطنبولي "إن الهدف من المهرجان هو الحفاظ على الموروث الشفوي والمحافظة على التراث والهوية وفن الحكواتي والعمل على تمريره للأجيال، وسيكون المهرجان تظاهرة فنية لتبادل تجارب وممارسات تراثية مختلفة بين بلدان مختلفة، وتسليط الضوء على أهمية اللغة العربية الفصحى في الوطن العربي والحفاظ عليها وإعادة تأهيل فنّ الحكاية الشعبية والتراث الشعبي وتسويقه بين الأجيال الجديدة".

هذا وسيقام بالتوازي مع عروض المهرجان "مقهى للحكاية"، وهو عبارة عن فضاء يجمع الحكواتيين ببعضهم البعض، لتبادل التجارب ونقل المعارف، وحثّ الرواة على ضرورة تسجيل قصصهم الشعبية لدى منظمة اليونسكو كتراث شفهي، وستقام عروض موازية لطلاب المدارس في الساحات والمكتبات العامة تسلط الضوء على القراءة وسرد القصص التقليدية ورواية السّير الشعبية في الزمن القديم، بالإضافة إلى إقامة ورش للأطفال حول تأليف حكايات من إنتاجهم الخاص، وتدريبهم على الصوت والأداء وكيفية الالتفات إلى الجمهور وعلى الملابس الملائمة لفن مسرح الحكواتيين بإشراف مدربين وحكواتيين محترفين.